

# كِتَاب

المورد العذب الزلال

في كشف شبه أهل الضلال

تأليف

شيخنا وإمامنا ، ناصر السنة ، وقامع البدعة

الشيخ غير الرحمن به الشيخ مسميه به الشيخ محمد به غير الوهاب

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحبي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز السعدي

بملاك النجى زونجيداً ومخلصاً

وقد وقفه على من ينتفع به من أهل العلم والدين

لا يحل لمن وقع بيده بيعه

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقمه ، ومصرف الامور  
بأمره ، ومستدرج العاصين بمكره ، الذي أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق  
عباده فلا يمانع ، الظاهر على خلقه فلا ينازع ، الحكيم فيما يريد فلا يدفع  
أحمده على إعزازه لأوليائه ، ونصرتة لأنصاره وخفضه لأعدائه . حمد من  
استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك  
له الا أحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد شهادة من طهر بالتوحيد  
قلبه ، وأرضى بالمعاداة فيه والموا لا ذربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك  
وخافض الشرك ، وقامع الكذب والافك ، اللهم صل على محمد وآله وصحبه  
وسلم تسليماً كثيراً

(وبعد) فاعلم أيها الطالب للسلامة ، الساعي في أسباب تحصيل الفوز والكرامة ،  
أنني وقفت على رسالة لمن لم يسم نفسه ، مشعرة بأنه من بلاد الخرج<sup>(١)</sup> متضمنة لأنواع  
من الكذب والرج ، جامعة لأمر من الباطل لا يسمع مسلماً السكوت عليها خشية  
أن يفتن بها بعض الجاهلين فيعتمد عليها ، فان كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ،  
ومتكلم بغير إصابة ولا فهم

وقد جعل الله في كل زمان فترة ، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ،  
ويبصرون بدين الله أهل العمى ، ويحيون بكتاب الله الموتى ، فكم من قتيل  
لا بليس قد أحيوه ، وتائه ضال قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس وما اقبح  
أثر الناس عليهم

وقد عنّ لي الجواب ، لتمييز الخطأ من الصواب ، فلا بد من ذكر مقدمة نافعة لتكون هي المقصودة بالذات رجاء أن تكون سبباً موصلاً إلى رضوان الله ، يستبصر بها طالب الهدى من عباد الله ، وذلك بتوفيق الله الذي لا إله سواه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

اعلم أيها المنصف أن دين الله القويم ، وصراطه المستقيم ، إنما يتبين بمعرفته أمور ثلاثة هي مدار دين الاسلام ، وبها يتم العمل بأدلة الشريعة والاحكام ، ومتى اختلفت وتلاشت وقع الخلل في ذلك النظام

( الامر الاول ) أن تعلم أن أصل دين الاسلام وأساسه ، وعماد الايمان ورأسه ، هو توحيد الله تعالى الذي بعث به المرسلين ، وأنزل به كتابه المحكم المبين ، قال تعالى ( الر \* كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير \* أن لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير ) وهذا هو مضمون شهادة ان لا اله الا الله . فان أصل دين الاسلام ان لا يعبد الا الله وان لا يعبد الله إلا بما شرع ، لا بالالهواء والبدع وقد قال شيخنا رحمه الله تعالى إمام الدعوة الاسلامية ، والداعي الى الملة الحنيفية : اصل دين الاسلام وقاعدته امران : الامر بعبادة الله وحده والتحرير على ذلك والموالاته فيه ، وتكفير من تركه . والنهي عن الشرك بالله في عبادته والتغليظ فيه والمعاداة فيه وتكفير من فعله . والمخالف في ذلك أنواع ذكرها رحمه الله تعالى وهذا التوحيد له اركان وفروع ومقتضيات وفرائض ولوازم لا يحصل الاسلام الحقيقي على الكمال والتمام الا بالقيام بها علماً وعملاً . وله نواقض و. بطلات تنافي ذلك التوحيد

فإن أعظمها أمور ثلاثة ( الاول ) الشرك بالله في عبادته كدعوة غير الله ، ورجائه والاستعانة به والاستغاثة به والتوكل عليه ونحو ذلك من أنواع العبادة ، فمن صرف منها شيئاً لغبر الله كفر ولم يصح له عمل . وهذا الشرك هو أعظم

محيطات الاعمال كما قال تعالى (ولو اشركوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون) وقوله (ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين \* بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

ففي هذه الآية نفي الشرك وتعليظه والامر بعبادة الله وحده . ومعنى قوله (بل الله فاعبد) اي لا غيره ، فان تقديم المعمول بفيد الحصر عند العلماء قديماً وحديثاً (الامر الثاني من النواقض) انشرح الصدر لمن اشرك بالله ومواد اعداء الله (١) كما قال تعالى (واسكن من شرع بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) الآية الى قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) فمن فعل ذلك فقد ابطال توحيده ولو لم يفعل الشرك بنفسه . قال الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية

قال شيخ الاسلام : اخبر سبحانه انه لا يوجد مؤمن يواد كفراً فمن واده فليس بمؤمن . قال : والمشابهة مظنة المودة فتكون محرمة

قال العاديين كثير في تفسيره : قيل نزلت في ابي عبيدة حين قتل اباة يوم بدر (أو ابناءهم) في الصديق يومئذ هم بقتل ابنه عبد الرحمن (أو اخوانهم) في مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير (أو عشيرتهم) في عمر قتل قريباً له يومئذ ايضاً ، وحزرة علي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ قال : وفي قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو انهم لما

(١) أي موادتهم وانشرح الصدر لهم لاجل شركهم وعداوتهم لان تعليق الحكم على الشئ يدل على انه علة له كما قالوه في آية حد السارق ، ولذلك استدل هنا بآية (ولكن من شرع بالكفر صدراً) الخ ولا يدخل في ذلك الصحة بالمعروف لاجل القرابة ونحوها مع كراهة الكفر نفسه لقوله تعالى في الوالدين المشركين (وان جاهدك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) الآية

سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم ورضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم ، ونوه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك من انهم حزب الشيطان (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

( الامر الثالث ) مواالة المشرك والركون اليه ونصرته واعانته باليد او اللسان او المال كما قال تعالى ( ولا تكونن ظهيراً للكافرين ) وقال ( رب بما أنعمت علي فلان أكون ظهيراً للمجرمين ) وقال ( إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) وهذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين في هذه الامة . فانظر ايها السامع أين تقع من هذا الخطاب وحكم هذه الآيات

ولما أعانت قريش بني بكر على خزاعة سرّاً وقد دخلوا في صلح رسول الله ﷺ انتقض عهدهم وغضب رسول الله ﷺ لذلك غضباً شديداً ، وتجهز لحربهم . ولم ينبذ اليهم لما كتب لهم حاطب كتابا يخبرهم بذلك إخباراً أنزل الله تعالى في ذلك هذه السورة بكاملها ، ابتدأها بقوله تعالى ( يا ايها الذين آمنوا لاتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة - الى قوله - ومن يفعلهم فاولئك هم الذين آمنوا ) فبدأ بذكر المؤمنين ثم ذكر المشركين الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ ثم ذكر الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ ثم ذكر المشركين الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ ثم ذكر المشركين الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ

ثم أمر تعالى بالتأسي بخليله عليه السلام واخوانه من المرسلين بالعمل بدينه الذي بعثهم به فقال ( قد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ) اي من اخوانه المرسلين ( اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده )

فذكر اموراً خمسة لا يقوم التوحيد إلا بها علماً وعملاً ، وعند القيام بهذه الخمسة ميز الله الناس لما ابتلاهم بعدوهم كما قال تعالى ( ألم \* أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا

وليعلم الكاذبين ) وحذر تعالى عباده عن توليهم عدوهم . قال تعالى ( يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين )

وقال تعالى ( بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما \* الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيتبعون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ) الآية

وقال تعالى ( ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون \* ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون )

فتأمل ما في هذه الآيات وما رتب الله سبحانه وتعالى على هذا العمل من سخطه والخلود في عذابه ، وسلب الايمان وغير ذلك

وذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى

( ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ) انه ردة عن الاسلام . وفي سورة

محمد ﷺ ما يدل على ذلك قال الله تعالى ( ان الذين ارتدوا على أديبارهم — الى

قوله — ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر ) والسين

حرف تنفيس تفيد استقبال الفعل فدل على انهم وعدوهم ذلك سرا بدليل قوله

تعالى ( والله يعلم اسرارهم \* فكيف اذا توفهم الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم \*

ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه ) والآيات في هذا المعنى كثيرة

والمقصود بيان عظم هذا الذنب عند الله وما رتب عليه من العقوبات عاجلا

وآجلا . نسأل الله الثبات على الاسلام والايمان ، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان .

وقد ذكر شيخنا رحمه الله تعالى في مختصر السيرة له : ذكر الواقدي ان خالد

ابن الوليد لما قدم العارض قدم مائتي فارس فأخذوا مجاعة بن مرارة في ثلاثة

عشر رجلا من قومه بني حنيفة ، فقال لهم خالد بن الوليد : ماتقولون في صاحبكم ؟

فشهدوا انه رسول الله ، فضرب أعناقهم حتى اذا بقي سارية بن عامر قال :

يا خالد إن كنت تريد بأهل الإمامة خيراً أو شراً فاستبق مجاعة وكان شريعاً فلم يقتله وترك سارية أيضاً ، فأمر بهما فوثقا في مجامع من حديد ، فكان يدعو مجاعة وهو كذلك فيتحدث معه وهو يظن أن خالداً يقتله ، فقال يا ابن المغيرة إن لي اسلاماً والله ما كفرت ، فقال خالد: إن بين القتل والترك منزلة وهي الحبس حتى يقضي الله في أمرنا ما هو قاض ، ودفعه إلى أم متمم زوجته وأمرها أن تحسن اسارده ، فظن مجاعة أن خالداً يريد حبسه ليخبره عن عدوه ، وقال: يا خالد قد علمت أنني قدمت على رسول الله ﷺ فبايعته على الاسلام وانا اليوم على ما كنت عليه بالامس ، فان بك كذاب قد خرج فينا فان الله يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال: يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وانت من أعز أهل الإمامة - اقراراً له ورضاء بما جاء به ، فهل أبديت عذراً فتكلمت فيمن تكلم ؟ فقد تكلم نمامة فرد وأنكر ، وتكلم الإشكري ، فان قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلي او بعثت إلي رسولا ؟

فتأمل كيف جعل خالد سكوت مجاعة رضى بما جاء به مسيلة واقراراً ، فأين هذا من أظهر الرضاء وظاهر وأعان وجد وشمر مع أولئك الذين أشركوا مع الله في عبادته وأفسدوا في أرضه ؟ فله المستعان

( الامر الثاني ) من الامور التي لا يصلح الاسلام إلا بها العمل بشرائعه وأحكامه ، وبالقيام بذلك يقوم الدين وتسقيم الاعمال كما قال تعالى ( ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد ثبوتاً ) الآية ، وقال تعالى ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً \* يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً ) وقال تعالى ( وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ) الآية ، وقال تعالى ( وما كان لمؤمن ولا

مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضالالاً مبيناً ( وقل تعالى ) واذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون \* وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مدعين \*  
 أفى قلوبهم ام ارتابوا ؟ أم يخفون أن يحيف الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون )  
 وقال تعالى ( فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهوائهم ) الآية ، وقل تعالى ( أرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاً \* أم تحسب ان أكثرهم سميعون او يعقلون ؟ إنهم إلا كلابا نعام بل هم أضل سبيلاً ) وفي هذا المعنى قال أبو تمام :

وعبادة الاهواء في تطويحها بالدين مثل عبادة الاوثان

هذا هو الغالب على كثير من الناس : رد الحق لمخالفة الهوى ومعارضته بالآراء وهذا من نقص الدين وضعف الايمان واليقين

( الامر الثالث ) أداء الامانات واجتناب المحرمات والشهوات ، والجد في أداء الفرائض والعبادات الواجبات ، والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكرات . وقد وقع الخلل العظيم في ذلك كما قال تعالى ( فخاف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ) الآية ، وبذلك وقعت الغفلة والاعراض عن كتاب الله تعالى ، واشتغل أكثر الناس بدنياهم عن طاعة مولاهم ، وزهدوا في كل ما يعود نفعه اليهم في دنياهم وأخراهم مما يوجب رضا ربهم ومولاهم فيجب على من نصح نفسه من جعل الله له القدرة والسلطان ونفوذ الكلمة أن يهتم بحفظ هذه الثغور الثلاثة ، فانها ثغور الاسلام ، وقد سعى في خرابها ، من ليس من أهلها ومن أسباب حفظها الاخلاص لله والصدق والالجا إليه وتعظيم أمره ونهيه والتوكل عليه وتمييز الخبيث من الطيب . فان الله تعالى ميزهم لعباده لما ابتلاهم فعليك ببغض اعداء الله والاهتمام بما يرضيه ومحبة ما يحبه وكره ما يكرهه ، وخشيته ومراقبته ، والله المستعان

## فصل

في الإشارة الى ما تضمنته لا إله الا الله من نفي الشرك وإبطاله ، وتجريد التوحيد لله تعالى ، والإشارة الى بعض ما تنقضي به عرى الدين الذي بعث الله به المرسلين والباء لذلك ما بالغني عن رجل كان قبل طروق الفتن يغلو في التكفير ويكفر بأشياء لم يكفر بها احد من اهل العلم ثم انه بعد ذلك قال : من قال لا إله الا الله فهو المسلم المعصوم ، وإن قال ما قال

فأقول وبالله التوفيق : اعلم ان لا إله الا الله كلمة الاسلام ، ومفتاح دار السلام . وقد سماها الله تعالى كلمة التقوى والعروة الوثقى وهي كلمة الاخلاص التي جعلها ابراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه . ومضمونها نفي الالهية عما سوى الله واخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده كما قال تعالى ( واذا قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون \* الا الذي فطرني فانه سيهدين ) وقال عن يوسف عليه السلام ( واتبعتم ملة آباي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ) وقال بعدها ( إن الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) وقال تعالى لخاتم رسله ( قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ) الآية وقال ( ان لا تعبدوا الا الله ) وقال ( ان إلهكم لواحد \* رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق )

وقد تفاوت الناس في هذه الكلمة بحسب حاكم علماء وعملاء ، فمنهم من يقولها وهو يحجل مدلولها ومقتضاها ، فلا يعرف الاله المنفي بأداة النفي ، ولا الالهية المثبتة لله تعالى ، فهذا لا تنفعه بلاريب . تجده يأتي بما يناقضها وهو لا يدري

واعلم أن لها شروطا ثقالا ( منها ) العلم بمدلولها ومقتضاها وحقوقها ولوازمها ومكالاتها . ومن شروطها الصدق واليقين وإرادة وجه الله والكفر بما يعبد من

دون الله كما قال تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) قال ابن جرير: يعلمون حقيقة ما شهدوا به . وقال (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وصحت الأحاديث عن النبي ﷺ بذكر هذه الشروط كلها ، ومن لم يكن كذلك لم تنفعه لا إله إلا الله ، لأن القول بلا علم هباء

قال شيخ الإسلام : ومن فقد الدليل ، ضل السبيل وكذلك من يقولها وهو لا يجمل مضمونها ومقتضاها ، لكن يمنعه من قصد ذلك واتباع الحق والعمل به موانع من آفات النفوس ، فتجده ينكر التوحيد تارة ويبغض أهله ويحب الشرك وأهله ، كحال الذين قالوا (نشهد أنك لرسول الله) قال الله تعالى (والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلو أن مجرد القول ينفع بدون الإخلاص والصدق واليقين القلبي لنفع هؤلاء ، فكذلك من يقول ظاناً أنه أتى بمضمونها ومقتضاها ، ويأتي بما يناقضها من موالاته المشركين ومظاهرتهم على المسلمين والاستبشار بنصرهم وظهورهم وغير ذلك من الأمور التي عدها العلماء من نواقض الإسلام ، قال الله تعالى ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيتهم) الآية ، وقال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا راحة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين \* ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين) ومعنى : وادع إلى ربك أي إلى توحيده واتباع امره وترك نهيه ثم قال (ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه)

فذكر أموراً أربعة كلها تنافي قول لا إله إلا الله . يحقق ذلك نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاته أعدائه في أول سورة الممتحنة وفي غيرها وقال (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

وتدبر تلك الآيات وما رتب الله تعالى من الوعيد الأكيد والعذاب الشديد

ونفي الايمان وحبوط الاعمال على هذه الامور التي لا يعدها من وقعت منه كبير ذنب فاننا لله وإنا اليه راجعون .

وبالجملة فلو بقي هؤلاء دين مع ذلك اسلموا من العقوبات لان الايمان أمن والاسلام سلامة كما قال تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) فان تدارك الله من شاء منهم بتوبة نصوح فهو فضله سبحانه وإلا فيا خسروهم .

وقد بين الله تعالى في كتابه كثيراً من نواقض الاسلام والايمان فان سبب نزول قوله تعالى ( لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ) أن أناساً كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك يجاهدون عدوه فقال رجل منهم: ما رأينا مثل قراننا هؤلاء، ارحب بطونا وأكذب السنة، وأجبن عند اللقاء. فأنزل الله هذه الآية. والقصة مشهورة في التفسير وكتب الحديث

فانظر كيف أبطلوا ايمانهم وكفروا بربهم، فلم ينفعهم قول لا إله إلا الله ولا صلاتهم ولا جهادهم مع رسول الله ﷺ |

وقال تعالى ( يحافون بالله ما قالوا ولعد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ) نزلت على ما ذكره المفسرون في الجلاس بن عمرو ، قال : إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير ، ولو يقولها أحد في زماننا هذا لم يعد كافراً ولا عاصياً . ولا ريب أن هؤلاء كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويصلون ويزكون ويجاهدون ولم يظاهروا على المسلمين عدواً .

وكذلك أهل مسجد الضرار كانوا من جملة الانصار وفعلوا ما هو في الظاهر قرينة ، فلما أضمرُوا خلاف ما أظهرُوا أنزل الله في شأنهم ( والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ) وهو أبو عامر الفاسق قال الله تعالى ( وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى

والله يشهد انهم كاذبون — إلى قوله تعالى — لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا ان تقطع قلوبهم ) اي بالموت .

أيظن من عرف موقع كتاب الله وآياته انه ينفع من أحب المشركين قول يقوله او عمل يعمله؟ وهو يعلم ما وقع بهؤلاء من عقوب الله على ما أسروه؟ هذا لا يظنه من له مسكة من عقل لان ما كلف به عوقب به من بعدهم على مثل ما عوقبوا به بلا ريب اللهم، إلا ان يتدارك الله تعالى من شاء بتوبة ما حية والا فالخطر عظيم . وكذلك قوله تعالى (فاعتبههم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه) وسبب نزولها ومن نزلت فيه معروف في كتب التفسير

ومن زعم ان المراد من لا إله إلا الله مجرد القول فقد خالف ما جاءت به الرسل والانبياء من دين الله واتبع غير سبيل المؤمنين ، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام انه قال لقومه ( أي لكم نذير مبين \* ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ) فاجابوه بقولهم ( لا تذرنا المهتمك ولا تذرنا ودا ولا سواها ) الآية . علموا على كفرهم وضلالهم - انه لم يرد منهم مجرد الاقرار ، وانما أراد منهم الاتباع والعمل وترك عبادة الاصنام ، واخبر تعالى عن هود عليه السلام انه قال لقومه ( ان اعبدوا الله ما لكم من الله غيره افلا تتقون ) وذكر تعالى عنهم في جوابهم له ( اجئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ) علموا انه أراد منهم قصر العبادة على الله وترك عبادة من سوى الله ، وهذا هو مضمون لا إله إلا الله ومعناها .

ولما دعا الخليل عليه السلام أباه إلى التوحيد بقوله ( يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ) اجابه بقوله ( أراغب أذت عن الهتي يا ابراهيم ؟ ) عرف انه أراد ترك عبادة ما سوى الله والرغبة عن ذلك الى اخلاص العبادة لله وحده ، ثم قال الخليل عليه السلام ( وأعتزلكم وما تدعون من دون

الله واعو ربي ) فذ كر مضمون لا إله إلا الله ولازمها، كما ذكر تعالى مثل ذلك عن أهل الكهف في قولهم ( واذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله \* فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ) وقال تعالى عن صاحب ياسين ( يا قوم اتبعوا المرسلين \* اتبعوا من لا يستأكم أجرا وهم مهتدون \* ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون \* ألاأخذ من دونه إلهة ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتكم شيئا ولا ينقذون \* اني اذاً لفي ضلال مبين )

وتأمل أيضاً قوله تعالى ( انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون \* ويقولون أنا لناركوآلهتنا لشاعر مجنون ) عرفوا - وهم كمنار - أن مطلوب النبي ﷺ من قولهم لا إله إلا الله انه ترك عبادة الاوثان، فبإله من بيان ما أوضحه والمقصود ان القرآن من أوله الى آخره يحقق معنى لا إله إلا الله بنفي الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه . لكن لما اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين، وقع الريب والشك بعد اليقين، وانتقض أكثر عرى الاسلام، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « أما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية » ومما انتقض من عراه الحب في الله والبغض في الله والمعاداة والمؤالاة لله، كما في الحديث الصحيح « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » وانت ترى حال الكثير حبه لهواه وبغضه لهواه، فلا يسكن الا إلى ما يلائم طبعه ويوافق هواه، ولو غره واغواه . فتأمل تجد هذا هو الواقع، فلا حول ولا قوة إلا بالله

والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه فهو من مدلول كلمة الاخلاص، فدلائلها على الدين كله اما مطابقة واما تضمنا واما التزاما، يقرر ذلك ان الله سماها كلمة التقوى، والتقوى ان يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي وإخلاص العبادة له واتباع أمره على ما شرعه، وقد فسرها ابن مسعود

رضي الله عنه « ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله »

وقد اخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن زيد عن النبي ﷺ قال « لا يبايع العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا باس به حذرا مما به باس »

وقال شيخ الاسلام احمد بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى في قوله تعالى ( ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ) قال ابو بكر الصديق: فلم يلتفتوا عنه عينة ولا يسرّة، اي لم يلتفتوا بقلوبهم إلى ما سوا، لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالتوكل عليه ، بل لا يحبون إلا الله ولا يهون الا الله. اهـ

\*\*\*

وقال شيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: سألتني الشريفة عما نقاتل عليه وما نكفر به ؟ فقلت في الجواب: انا لا نقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم ، وهو الشهادتان بحد التعريف ، اذا عرفتم تكفركم ، فنقول أعداؤنا معنا على أنواع :

الاول : من عرف ان التوحيد دين الله ورسوله وان هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس اليوم انه الشرك الذي بعث الله رسوله بالذهي عنه وقتال أهله ليكون الدين كله لله ، ولم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك فيه الشرك ، فهذا كافر نقاتله لانه عرف دين الرسول فلم يتبعه ، وعرف دين المشركين فلم يتركه ، مع انه لم يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ، ولا يمدح الشرك ولا يزينه

النوع الثاني : من عرف ذلك ولكن تيمن في سب دين الرسول مع ادعائه أنه عامل به وتيمن في مدح من عبد يوسف والاشقر وابي علي والخضر وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك- فهذا أعظم كفراً من الاول وفيه قوله تعالى ( فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ) الآية . ومن قال الله فيهم ( وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أمة الكفر ) الآية

النوع الثالث : من عرف التوحيد وأحبه واتبعه وعرف الشرك وتركه، لكن يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر وفيه قوله تعالى ( ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم )

النوع الرابع : من سلم من هذا كله لكن أهل بلده يصرحون بعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك ويسعون في قتالهم ، وعذره ان ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضاً كافر لأنهم لو أمروه بترك صيام رمضان ولا يمكنه ذلك إلا بفراق وطنه فعل، ولو أمروه ان يتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه مخالفتهم إلا بذلك فعل. وأما موافقته على الجهاد معهم بماله ونفسه مع انهم يريدون قطع دين الله ورسوله ﷺ فأكبر مما ذكرنا بكثير ، فهذا أيضاً كافر ممن قال الله فيهم ( ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلهم ادوا إلى الفتنة اركسوا فيها فان لم يمتزلوكم ويلتقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم ) الآية

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

## فصل

وهذا شروع في الجواب المشار اليه سابقا، وقد كنت عزمتم أن أتبع كلامه وأجيب عنه تفصيلا، ثم انه عرض لي مايجب ان يكون هو المقصود بالذات مما قدمته حماية لجانب التوحيد والشريعة، ثم بدا لي أن اقتصر في جواب الرجل لما في الاقتصار من رعاية الصبر والاصطبار، لانا لو أجبناه بكل مايليق في الجواب لم نسلم من أمثاله ممن ينسج على منواله، كما هو الواقع من أكثر البشر قديما وحديثا مع كل من قام بالحق أو نطق بالصدق، فكل من كان أقوم في دين الله كان أذى الناس اليه أسرع والعداوة له أشد وأفظع، وأفضل خلق الله رسله وقد عاجلوا من الناس أشد الأذى، حكمة بالغة قال الله تعالى ( وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيراً ) والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة جداً. ينبئك عن تفصيل هذا ما ذكره الله تعالى في كتابه عن أنبيائه لما دعوا أممهم إلى التوحيد كيف قيل لهم وما خوطبوا به

وتأمل ما جرى لخيار هذه الامة كالخلفاء الراشدين وسادات أصحاب سيد المرسلين من اعدائهم كالرافضة والخوارج ونحوهم، وما جرى لاعيان التابعين ومن بعدهم من أعيان الائمة كالامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح واحمد بن نصر الخزاعي وأمثلة هؤلاء ممن لا يمكن حصرهم، ولو ذكرنا جنس ما جرى لهم من الأذى لطال الجواب. والقصد هو الاقتصار، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بالسير والتاريخ. والله در ابي تمام حيث يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت إتاحت لها لسان حسود

وقل ابو الطيب :

وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوج بمعتدل

إذا علمت ذلك فإن هذا الرجل ذكر عن الشيخ عبد الرحمن بن حسين أنه لا يصلي بهم ، ولا يقدم من يهوونه ، ولا يقطع خصومة ، وعدوه من نظري كتاب او نطق بصواب . هذا كلامه فيه . عد هذه الامور من المثالب . والبصير إذا تأمل رآها من المناقب ، لان المسلم لا يجوز ان يحمل إلا على الخير فيما خفي عذره فيه . حتى يتبين ما يرفع الاحتمال . وهذه العيوب الخمسة محتملة لامور :

( الاول ) منها يحتمل انه فعله تأتما من الصلاة بالناس لعذر خفي يوجب ذلك فان الاعذار عن الامامة كثيرة

( الثاني ) يحتمل نصحه لهم فيختار لهم من يصالح لذلك المقام ، ونظره لهم خير من نظرهم لانفسهم

( والثالث ) فيه التثبت في الفتيا بالنظر والتأمل والمراجعة في كتب الاحكام وهذا مطلوب من كل مفت لاسيما في هذا الوقت

( والرابع والخامس ) فيه حماية جانب العلم عن الجهل ، ولا يدري انه يجهل ، والمطلوب سد ابواب الاختلاف في أحكام الدين ، فان الله ذمه في كتابه ، فإذا حمل مثله على غير ذلك اوقع في اغتياب المسلم ، وقد حرمه الله في كتابه ، فان عده المغتاب له نصيحة فقد أحل ما حرمه الله ورسوله ، وهو أمر عظيم ، وفيه تشييع المسلم بما يحتمل ضد ذلك .

\*\*\*

وأما تحذير هذا الرجل للامام من اولاد الشيخ كلهم وانه لا يجوز له أن يصنعى اليهم ولا يدين لهم جانباً

( فالجواب ) نعم هذا رأيه للامام وهو الذي يحبه له ويرضاه لكن رأى المسلمين خصوصاً من ينسب منهم إلى الدين ، والحب في الله والبغض فيه ، وكذلك العقلاء يخالفونه في ذلك ، وفي نصيحة المسلمين للامام الحث على طاعة اوائك

والاخذ منهم ، وقبول نصيحتهم ورأيهم كما هو الواقع من الامام ، فلا يخلو إما أن يكون الصواب مع هذا الرجل ، واما أن يكون مع أعيان المسلمين واهل الدين الذين لهم لسان صدق ومحبة في الناس والله يعلم المفسد من المصلح

\*\*\*

وأما قوله ان ابن ثنيان يلزمهم الحرام (فالجواب) ان يقال : وهل شاهدت ذلك وعرفت ان ما أعطاهم حرام بعينه او رأى ذلك من يوثق بخبره ، هذا امر لا يقدر هو ولا غيره ان يثبت ذلك لكنه كما قيل :

يقولون اقوالا ولا يعلمونها وان قيل هاتوا حقا لم يحققوا والذي يأخذون منه ومن غيره من الأئمة هو مما أفاء الله على المسلمين المسمى بعيت المال او من الزكاة ونحوها ، وهذا لا يقول احد من العلماء انه حرام ، والذي خص عليه الفقهاء من اهل الحديث وغيرهم انه يجوز الاخذ لمن يستحقه مالم يعلم انه حرام بعينه ، ذكره ابن رجب عن الزهري ومكحول ، قال : وخص قوم من السلف في الاكل ممن يعلم في ماله حرام مالم يعلم انه حرام بعينه . قال : وروي في ذلك آثار كثيرة عن السلف ، وكان النبي ﷺ واصحابه يعاملون المشركين واهل الكتاب مع علمهم انهم لا يجتنبون الحرام كاه

قال : وروى الحارث عن علي رضي الله عنه انه قال - في جوائز السلطان : لا بأس بها ، ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام ، وقال ابن مسعود : إنما الهناء لكم والوزر عليهم

وذكر في المغني ان الحسن البصري أخذ جائزة عمرو بن هيرة وردها ابن سيرين فعتب الحسن عليه ذلك . ونقل عن الامام احمد انه قال : جوائز السلطان

أحب إلي من الصدقة. يعني ان الصدقة اوساخ الناس صين عنها آل رسول الله ﷺ ولم يصانوا عن جوائز السلطان

وذكر عنه أيضا انه احتج بان جماعة من الصحابة تنزهوا عن مال السلطان منهم حذيفة وابو عبيدة ومعاذ وابو هريرة وابن عمر ، قال ولم ير ابو عبد الله ذلك حراما ، فانه سئل فقيل له مال السلطان حرام ؟ قال لا . وفي رواية قال : ليس أحد من المسلمين إلا وله في هذه الدراهم حق ، فكيف أقول سحت ؟ وقد كان الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكثير من الصحابة يقبلون جوائز معاوية . قال : ولان جوائز السلطان لها وجه في الاباحة والتحليل فان لها جهات كثيرة من النية والصدقة وغيرهما اهـ

( قلت ) وما زال العلماء في كل عصر يأخذون أرزاقهم من بيت المال ولم ينكر ذلك أحد من اهل الورع ولا غيرهم ويرونه حلالا . أما اولئك الظلمة الذين جاروا على اهل نجد بغيًا وعدوانا فلا ريب أن ما أخذوه كله ظلم ، لانهم انما جاءوا بالباطل والظلم والعدوان فلا يسوغ لهم أخذ شيء مما أباح الله لولاة اهل الاسلام أخذه من زكاة وفيه أو غير ذلك ، فإذا أخذه اولئك ظلم بحت ،

فليتنظر في حال هذا الطاعن على اهل العلم وأمثاله ، فان كانوا قد كرهوا ما أخذه هؤلاء السرفون المعتدون ولم يقبلوا شيئًا منه ولم يبق إلا انهم جهلوا حكم اموال النفي فالمصيبة أهون . وأما إذا كانوا أخذوا من أولئك من تلك الاموال على الوجه الذي ذكرناه فالمصيبة أعظم ، وذلك انهم حرموا على علماء المسلمين أن يأخذوا ما حل لهم ، ويأخذونه من أولئك وبأن يكونه حراما صرفًا من غير تأويل ، وعلى كل حال فانهم لما رأوا هؤلاء الاشياخ من أقرب الناس دعوة إلى التوحيد وإرشادًا إلى طاعة ربهم واتباع نبيهم فتوصل شرار اهل نجد بمسبتهم إلى مسبة

الذين لمخالفته أهواءهم ، ولا ريب أن هذا تحته كل عيب ، ويستدل به العارف على انه  
انما صدر منهم عن شك في حقيقة الاسلام وريب

\*\*\*

نم إن هذا المعترض قال في سبابه لأهل العلم المشار اليهم سابقا : انهم نظروا  
إلى سد باب القبلة ومصر ولم ينظروا إلى أبواب السماء . يشير إلى انهم وسعوا  
للمتولي أمرهم في مداهنة تلك الجهات

( فالجواب ) انه لا يخلو إما أن يكون هذا الرجل من أشد الناس غباوة  
وأجهلهم بأحوال الناس ، ولا معرفة له بالواقع أصلا ، وإما انه تعتمد الكذب  
والتشيين لأولئك الائمة وهو يعرف انه قد كذب عليهم وافترى ، فان من  
المعلوم من طريقهم ورأيهم ونصحهم انهم لا يجوزون المداهنة في الدين ، ولا  
يرضون ذلك من كبير ولا صغير ، ولهذا صار الاعداء يطعنون عليهم بذلك عند  
مبغضيههم ويقولون انهم يكفرونكم ، وحقيقة أمرهم انهم لا يكفرون أحدا الا  
بمعمل صرح القرآن بتكفير فاعله ، ولا يقولون على شخص بعينه انه كافر ولا  
على جماعة انهم كفار الا اذا ارتكبوا أفعالا من المكفرات وثبت ذلك بطريق  
من طرق العلم إما مشاهدة أو سماعا أو تواترا .

وقد تقدم عن شيخنا إمام الدعوة الاسلامية انه قل في جوابه للشریف إنا  
لا نكفر الا بما اجمع العلماء عليه انه كفر

وعلى هذا فيقال لهذا الرجل : اذا كان هذا الذي تنسبه اليهم من مداهنة اهل  
القبلة ومصر عيبا يعاب به من فعله فأنت ممن داهنهم وأطاعهم وتابعهم وخدمهم ،  
فهل عبت على نفسك هذا الذي اعترفت بأنّه عيب كبير ؟ وما مثلك الا كما قيل  
في المثل « رميتي بدائها وانسلت »

فيقال لامام المسلمين ، أعزه الله بالدين ، تأمل ما ذكره الله في كتابه المبين ،  
واتبعه ، فان هذا هو الواجب على كل أحد ، لاسيما من ولاد الله امر الناس ، فان الله

افترض عليه أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فانه لا صلاح لهم بدون ذلك اصلاً ، علماً وعملاً ، وعليه ان يصلح نفسه بما يرضي الله من إقامة دينه وأن لا يخف في الله لومة لائم ، وان يحب في الله ويبغض فيه ويوالي الله ويبغض فيه ، وان يميز الناس بتمييز الله فان الله ميز اولياءه من اعدائه ، ولا شك أن هذا من فرائض التوحيد ، وليكن على حذر من الناس وأهوائهم فانهم لا يرضون إلا بمتابعة أهوائهم ، وقد قال تعالى ( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون \* انهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين )

واعتبر بما جرى من أكثر الناس من أنواع الشرك والظلم والفساد كما قد جرى فيما مضى ، كما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول :

ولقد رأينا من فريق يدعي الإسلام شركاً ظاهراً التبيين  
جعلوا له شركاء والوهم وساوهم به في الحب لا السلطان  
والله ما ساووهو بالله بل زادوا لهم حباً بلا كتمان

وهذا وأمثاله هو الواقع في هذه الأزمنة يعرفه من تدبر القرآن وفهم أدلة التوحيد ، فلقد كثرت هذا الشرك بنوعيه من دعوة غير الله والاستغاثة به وتعظيمه والجلف به ، حتى إن بعض الجهال يستنكفون من قول القائل : محمد عبد الله ورسوله فينكرون قوله : عبد الله . ولا ريب أن الله تبارك وتعالى شرفه بعبوديته له الخاصة والرسالة

وأما أهل الإسلام على الحقيقة والایمان فيخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة إلا إلى ربهم ومليكمهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته . ويعملون بشارعه لهم في كتابه ، وسنه لهم بنبيهم ﷺ من شريعته ، معتصمون

بجبل الله متعاونون على طاعة الله. فاعرف كلا من الفريقين بشواهد الاحوال والاعمال، واستشهد على كل من الفريقين بصرح القرآن وصحيح الاخبار، واستدع بكتب العلماء المحققين العدول الاخبار فان البهرج لا يميزه الا اولو البصائر والاستبصار. ومن لم يميز الناس بتمييز الله لهم عظمت مصيبتهم ودأمت حسرتهم، فان الله - وله الحمد - اجري العادة بمقتضى الحكمة البالغة ان يبتيلى عباده بوقوع الفتن ليميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق، بما يضمرونه ويظهرونه من ترك طاعته والعمل بمعصيته، ومن هو بخلاف ذلك (ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) قال الله تعالى ( ألم \* أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - الى قوله - ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذي في الله جعل فتنه الناس كعذاب الله ) - الى آخر السياق - وقال تعالى ( ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أمنتهم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) وقال تعالى ( أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وايجة والله خبير بما تعملون )

وقد بلا الله أخبار الناس بما جرى في هذه الاعوام ويميز بها من قاتل أهل الاسلام وسبهم، ممن ولاهم وأحبهم، والله يعلم اننا لم نرد بهذا تشييين أحد أو عداوته، ولكننا تأمننا من كتمان العلم، ورغبنا في إرشاد العباد الى طاعة ربهم ومعبودهم، لما ابتلينا باناس من أهل نجد يقولون على الله بلا علم، ويتكلمون في أشياء من غير رواية ولا فهم، فكان الواجب على من منحه الله علما ان ينشر منه ما تيسر وقت الاحتياج اليه، وخصوصاً في هذه الازمنة لما قل العلم وكثر الجهل وغلبت الاهواء. اشتغل الناس فيه بمحبة دنياهم، وإيثارها على طاعة مولاهم والعمل لا خراهم

والله تعالى هو المرجو المسؤل ان يرفع عنا وعن المسلمين العقوبة وان يكتب لنا المثوبة بتحري رضاه ، وان يوفقنا للاستقامة على طاعته وتقواه ، وان يحقق لنا واخواننا ماطلبناه ورجواناه ، انه هو البر الرحيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل

\*  
\* \*

واعلم أن هذا الرجل وأمثاله لما امتلأت قلوبهم بالمدواة والبغض وظهرت على صفحات وجوههم وقلبات ألسنتهم، وأنوا بكل بلية وزمية - كما تقدم - طمعوا فيما هو أعظم من ذلك، وأكبر ضرراً مما هنالك . فأوردوا على الجهال شبهات تحسيناً لما قد فعلوه ، وتزييناً لسيلهم الذي سلكوه . والعارف إذا نظر اليها علم أنهم قد أقروا على أنفسهم وعلى الذين والهم وآوهم بما قد لا يصرح به غيرهم فيهم ابتداءً فمن ذلك قول بعضهم : ان الله تعالى يقول ( فلولاً رجل مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهن ان تطؤوهن فتصيبكم منهم معرة بغير علم ) الآية .

يشير إلى انه معذور باقامته مع هؤلاء كما عذر من أقام من المؤمنين بمكة مع المشركين فيقال له ( أولاً ) ان هؤلاء الذين سماهم الله مؤمنين لم يظاهروا على المؤمنين مشركاً ولا منافقاً ولا باغياً ولا ظالماً ولا سبوا مؤمناً ولا عادوه ، ومنهم من قيده اهله بمكة ومنعوه من الهجرة كأبي جندل بن سهيل . فانه خرج يوم الحديبية من مكة يرسف بقيوده، فلو ان أحداً منهم سب المسلمين أو عابهم أو اعان عدوهم انتقض إسلامه بلا ريب ، لكن الله تعالى حفظهم من هذه الامور وعذرهم باستضعافهم وعجزهم . ولهذا ثبت في الصحيح وغيره ان رسول الله ﷺ كان يدعو لهم في الفريضة ، كما اخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان إذا اراد ان يدعو على احد او يدعو لاحد قنت بعد الركوع ، وربما قال اذا قال « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش

ابن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين» وقوله والمستضعفين من المؤمنين هو من عطف العام على الخاص بلا ريب

ومن المحال أن يسميهم الله ورسوله مؤمنين وقد وقع منهم ما ينافي الايمان قال الله تعالى ( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ) فلمن من هذه الآية ان أولئك المستضعفين من المؤمنين لما كانوا بمكة مع قريش أنهم لم يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ولم يطعموا منهم بموادة ولا ركون، وحاشاهم من ذلك. فلهذا وصفهم الله بالايمان . وقد أخبر تعالى ان الايمان ينتفي بموالاته أعدائه كما قال تعالى ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون )

قال بعض المفسرين- في الآية الاولى- من الممتنع ان تجد قوما من المؤمنين يوادون من حاد الله ورسوله . ويقال أيضاً: ان الله تعالى بين حال الذين عذرهم عن الهجرة وميزهم بالوصف ممن لم يعذرهم فقال تعالى ( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ) قال في شرح البخاري والسؤال للتوبيخ ، أي لم تركتم الجهاد والهجرة والنصرة ؟ ( قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها قالوا لك ما واهم جهنم وساءت مصيراً )

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن الاسود قال « قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيني عكرمة فأخبرته فنهاني أشد الانهي وقال : أخبرني ابن عباس ان أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكتثرون سواد المشركين يأني السهم فيصيب أحدهم فيقتله او يضربه فيقتله ، فأنزل الله تعالى ( إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة ) الآيتين

فتأمل كيف ترتب عليهم هذا الوعيد وأوجب لهم النار وقد ورد أنهم كانوا مكرهين على تكثير سواد المشركين فقط، فكيف بمن كثر سوادهم بغير اكراه وإعان وظاهر، وقال وفعل من غير استضعاف ولا اكراه؟ أتري بقي مع هذا شيء من الايمان والحالة هذه؟

ثم ان الله تعالى بين في هذه الآية من خرج من هذا الوعيد بأوصاف لا تخفى على البليد قل (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً \* فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) فذكر أنهم الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً وهم العاجزون عن الهجرة من كل وجه، وهؤلاء هم الذين دعا لهم رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم، بخلاف من لم يعجز عن الهجرة، بل اختارهم ورغب اليهم وسكن اليهم ووافقهم وتأيد بهم واستنصر مثل عبد الله بن أبي سرح ومقيس بن صبابه الليثي وأمثالهما مما تزين له الباطل، كجبل بن الأيهم الغساني وأمثال هؤلاء كثيرون. نسأل الله اثبات على الاسلام والعفو والعافية في الدنيا والآخرة والامر الثاني: استدلالهم على جواز الاقامة مع المشركين او تركهم الهجرة لان الصحابة هاجروا إلى الحبشة وفيها نصارى

فيقال (أولاً) لا يجوز عند من له أدنى معرفة ان يستدل على ترك الهجرة بان الصحابة هاجروا، وكيف يجوز في عقل من له أدنى مسكة من عقل ان يستدل بترك شيء بان ذلك الشيء الذي تركه قد فعله غيره

وقد عرفت ان الله سجل على من ترك الهجرة بالوعيد الشديد وبريء منه رسول الله ﷺ وأنتى على من هاجر، ووعدهم على الهجرة بخيري الدنيا والآخرة كما قال تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) وقال (فالذين هاجروا وأخرجوا من

ديارهم وأوذوا في سبيلهم وقتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب (واي جهل أعظم من جهل من يسوي بين حسنات المقرين الأبرار، وسيئات العصاة الأشرار؟) (أفمن كان مؤمنا كن كان فاسقا؟ لا يستون )

\*\*\*

وهذا سياق قصة مهاجرة الحبشة . قال ابو نعيم في مستقاه من سيرة ابن هشام، قال ابن اسحاق : حدثنا محمد بن مسلم الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن ام سلمة زوج النبي ﷺ قالت « لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار- النجاشي- آمننا على ديننا وعبدنا الله ، لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدن ، وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الا دم، فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقه بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابي ربيعة وعمر بن العاص وأمرهما بامرهم ، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل ان تسكما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم أسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم- قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بنخير دار عند خير جار- إلى أن قالت- وكان الذي كله جعفر بن ابي طالب وقال له: أيها الملك كتنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى الضعيف ، وكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا عرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخضع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، ووقول الزور ، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات ، وأمرنا ان نعبد الله لا نشارك

به شيئاً، وأسرنا بالصلاة وزكاة والصيام. قالت: فعدد عليه أمور الاسلام - فصدقناه. وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنه ما حرم علينا، وأحلنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الاوثان من عبادة الله، وإن نستحل من الخبائث ما حرم الله علينا. فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك

قالت: فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال جعفر نعم، فقال له النجاشي: اقرأه علي، فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) قالت فبكى النجاشي حتى اخضل لحيته، وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما نلي عليهم، ثم قال النجاشي: ان هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا اسلمهم اليكم ولا اكاد» ثم ساق القصه قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث: انه لا يزال على قبره نور. انتهى

(قلت) وقد أنزل الله في النجاشي وأصحابه آيات في سورة المائدة من قوله (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى - إلى قوله - وانهم لا يستكبرون) (١)

وكل من له أدنى معرفة لا يفهم من هذه اقصه إلا انها حجة عظيمة على الهجرة الواجبة من وجوه لا تخفى على البليد، اللهم الا من ابتلى بسوء الفهم وفساد التصور وكابر العقل والشرع فلا حيلة فيه. ياربنا نسألك الثبات على الاسلام. وأورد أيضاً حديث «انا بريء من مسلم بين أظهر المشركين، لا تراءى ناراهما» والحجة منه ان النبي ﷺ سماه مسلماً فيفيدان اقامته بين أظهر المشركين. لا تخرجه عن الاسلام

(١) اغاية التي ذكرها فهو فان الآيات الثلاث التي بعدها فيهم أيضاً

( فالجواب ) أن براءة النبي ﷺ من جلس بين ظهرانيهم إنما كان عقوبة له على مجرد الإقامة بين أظهرهم . وأما إيوأؤهم ونقض العهد لهم ومظاهرتهم ومعاونتهم والاستبشار بنصرهم وموالاة وليهم ومعاذاة عدوهم من أهل الاسلام ، فكل هذه الامور زائدة على مجرد الإقامة بين أظهرهم ، وكل عمل من هذه الاعمال قد توعد الله عليه بالعذاب والخلود فيه وسلب الايمان ، وحلول السخط به وغير ذلك مما هو مضمون الآيات المحكمات التي قد تقدمت ، وكل ذنب من هذه الذنوب له عقوبة تخصه ، وكلما ازداد منه زاد الله له في العقوبة ، فإن لم يؤمن بتلك الآيات المحكمات ويعترف بصدور تلك الاعمال منه فما أشبه حاله بحال من قال الله فيهم ( أفئتؤننون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون \* أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ) واعلم أن هؤلاء المشركين لا يرضون من هذا وأمثاله بمجرد الموالاة والنصرة دون عبادتهم وتسويتهم لهم بالله في التعظيم والاحلال والتودد اليهم . فن ذلك الانحناء لهم والاشارة باليد إلى أشرف أعضاء السجود وهو الجبهة والانف ، وكل ذلك من خصائص الالهية ، وذلك أمر لا يحيد لهم عنه ، كما قل تعالى عن أهل الكهف ( فانهم إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا ابدا ) ولهذا لم يجدوا من مفارقتهم بداً ، حتى ذهبوا إلى غار في رأس جبل خوفاً من ذهاب دينهم فأثروا الله على كل ما سواه

قال شيخنا : في هذه القصة فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوداتهم وقوله ( فأووا إلى الكهف ) فيه شدة صلابتهم في دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة الكبرى والنعمة العظيمة واستبدلوا بها كهفاً في رأس جبل ( قلت ) ومثل ذلك ما ذكره الله عن سحرة فرعون لما استنارت قلوبهم

بالبإيمان قالوا لفرعون لعنه الله ( ان نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا )  
واعلم ان حقيقة حل هؤلاء المشبهة ان الله تعالى أمر بقتال المشركين فقاتلوا معهم، وأمرهم بالبعد عنهم فأوهم وقربوا منهم، وأمر بمعاداتهم فوالوهم، وأمرهم ببغضهم فوادوهم، وأمرهم بأن ينصروا أهل الإسلام فاستنصروا بالكفرة عليهم، ونهوا عن مداونتهم فداهنوهم، ونهاهم عن كتمان ما أنزل الله من هذا وغيره فكتموه وشبهوا كما قال تعالى ( ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب اليم ) وقل ( ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ) الآية. فجمعوا بين الكتمان والرد على من بين ولم يكتّم، والتشبيه والجدال بالباطل، فتركوا ما أوجب الله عليهم وارتكبوا ما حرم عليهم، وهذا ظاهر جداً لا يرتاب فيه من له ادنى معرفة بالناس وما وقع منهم فلا يأمنهم ويقربهم بعد هذه العظائم إلا من سقه نفسه

\*\*\*

ولهم شبهة أخرى وهي ان أبابكر استأجر عبد الله بن اريّة في طريق الهجرة إلى المدينة وكان هاديا خريتا يدلهم على الطريق فحسن رسول الله ﷺ صحبته فتكون صحبة العسكر واعانتهم على المساهدين ونصرتهم لا بأس بها  
فيقال (أولا) قد ذكر في الشبهة التي قبل هذه ان رسول الله ﷺ قال « أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين » وهذا يناقض ما استدلت به هنا وحاشا رسول الله ﷺ أن يتبرأ من صاحب عمل وهو يفعله، ومثل هذا قوله « من جامع المشرك أو ساكنه فهو مثله » والآيات المحكمات صريحة في التحذير من موالاتهم ناطقة بالوعيد الشديد على موادتهم ونصرتهم  
إذا عرف هذا فالفرق بين الدليل والمدعى ابعد مما بين المشرق والمغرب

وذلك ان ابن اريقط أعان رسول الله ﷺ على أبر البر بعد الاسلام ، وافرض الفرائض بعد الايمان ، وسعى لرسول الله ﷺ في مصالحه اني يتوصل بها إلى رضا مولاه ، ومراغمة أعدائه . ولا ريب ان هذا لو صدر من ابن اريقط بنية لكان من افضل الاعمال ، فاذا أسلم كتب له ذلك من افضل حسناته على حديث حكيم « أسلمت على ما أسلفت من خير » بخلاف من آوى المشركين ورضي بهم بدلا من المسلمين وأعانهم واستنصر بهم وفرح بنصرهم وظهورهم ، ودعا الناس إلى متابعتهم .

فالفرق بين الفعلين كالفرق بين فعل ابى طالب من النصرة والحيطة والحماية ، وفعل ابى جهل وعقبة بن ابى معيط والنضر بن الحارث ، فلو أسلم ابوطالب لكان فعله من اعظم القربات ، وفعل ابى جهل وأمثاله من اعظم الكفر الموصل إلى الدركات في العذاب وحلول المثالات ، فأين من أعان الباطل وواد أهله ونصرهم وظاهرهم من أعان المسلمين وسعى في مصالحهم وراغم عدوهم ؟

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فابن اريقط فعل خيرا جره إلى الاسلام كما جر سراقه بن مالك وقد فعل من النصيحة في حال كفره ما يحمد به باطنا وظاهرا بخلاف من والى المشركين ونصح لهم فانه قد وقع في الوعيد والسخط والمقت وفساد الدين ، ومفارقة المؤمنين ، والله أعلم بما يؤول اليه حال أعيان اولئك الضلال ، لكنه يخشى عليهم أن يصيبهم مثل ما قصه الله في شأن بلعام ، وكذلك اهل مسجد الضرار ، وقد كانوا قبل ذلك في عداد الانصار . فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الايمان

ولا ريب ان عدول هذا المستدل عن الآيات المحكمات وصحيح الاخبار ترك للمحكم واتباع للتشابه وقد قال تعالى ( فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ( الآية . وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »

وحاصل ما قدمنا من الجواب على ما أورده المشبه هنا يتضمن خمسة أوجه ( الاول ) ان ابن أريقط أجير ومن شأن الاجير أن يخدم المستأجر لأنه ملك منافعه بعقد الاجارة ، والاجير تحت المستأجر

( الوجه الثاني ) ان ذلك مستأجر في مصلحة دينية هي من أكبر مصالح الدين ، فاعانتة للمسلم وقت الحاجة اليه لا محذور فيها لكونها مصلحة محض ، فكيف يجوز أن يستدل بذلك على ماهو أعظم المفسد في الدين من موالاته المشركين واعانتهم على باطلهم والصد عن سبيل الله ؟

شتان بين الحالتين فمن يرد جمعا فما الضدان يجتمعان

( الوجه الثالث ) ان استئجار الكافر للمصلحة نظير استرقاق الكافر وذلك جائز بخلاف العكس ، فانه لا يجوز ، لان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه . وهذا المشبه كأمثاله صاروا لأهل مصر<sup>(١)</sup> كالملك في طاعتهم ، ومتابعتهم ، واعانتهم اختياراً منهم لا اضطراراً

( الوجه الرابع ) ان ما فعله ابن أريقط لا يعاب عليه عقلا ولا شرعا بل قد يثاب عليه في حال كفره في الدنيا ، وربما صار سببا لاسلامه لقربه من الاسلام باعانة أهله على طاعة ربهم ، بخلاف من أعان على معصية الله والصد عن سبيله ، فأين من كان مع أهل الحق ممن كان مع عدوهم ، وهل سمعت بتفاوت أعظم من هذا التفاوت ؟

والله ما اجتمعا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

(١) المراد من أهل مصر الجنود الذين قاتلوا جماعة المؤلف وكانوا من شعوب مختلفة . وأصل الكلام في الذين ساعدوهم من أهل الحجاز وغيرهم

(الوجه الخامس) ان ما فعله ابن اريقط يغيظ كفار قريش، واغاظه الكفار  
 بحبها الله تعالى، بخلاف من يفعل معهم ما يسرهم ويغيظ عدوهم من المؤمنين فأين  
 هذا من هذا لو كانوا يعلمون؟

والبصير يعلم أن هذا التشبيه من هؤلاء على العوام صدقهم عن سبيل الله  
 وانه من آثار عقوبة تلك الاعمال

اللهم انا نعوذ بك أن نفتن عن ديننا، وأن نرد على أعقابنا، وحسبنا الله  
 ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله  
 وصحبه أجمعين وسلم تسليما

وهذا آخر ما تيسر جمعه والله أسأل ان يعم بنفعه

أملا وجمعه الفقير إلى الله تعالى عبده عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وكتبه الفقير إلى الله عبده علي بن عبد الله البواردي

وذلك في سنة ١٣٦١ من هجرته ﷺ

وكتبه من قلم كاتبه حرفا بحرف عبده الفقير اليه عبد الله بن ابراهيم الربيعة

وذلك في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٦. وصلى الله على محمد

وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

آمين

